مجلة البحث العلمي الإسلامي

مجلة إسلامية علمية محكمة

تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية

ISSN: 2708-1796 (ردمد النسخة المطبوعة)

E-ISSN: 2708-180X (ردمد النسخة الإلكترونية)

السنة العشرون – العدد 68 – 30-04-2025م

Volume 20th - issue no. 68 - 30/04/2025

الصفحات: 381 - 398 Pages: 381 - 398

محاربة الإسلام للتمييز العنصري

التمييز ضد الأعراق أنموذجًا

Islam prohibits racial discrimination
Discrimination against races as a model

الدكتور فتحي بشير البقاعي

Dr. Fathi Bashir Al-BIKAI

الأستاذ المشارك في كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم الدراسات الإسلامية – جامعة الجنان / طرابلس – لبنان

Associate Professor
Faculty of Arts and Humanities
Department of Islamic Studies - Jinan University / Tripoli, Lebanon

Date of Receipt - 2025/01/23 - تاريخ الاستلام

Date of Acceptance - 2025/02/2 - تاريخ القبول

Email: fathi.bikai@jinan.edu.lb

اعتمادات

الدكتور فتحي بشير البقاعي
الأستاذ المشارك في كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم الدراسات الإسلامية–جامعة الجنان / طرابلس – لبنان

Dr. Fathi Al-BIKAI
Associate Professor Faculty of Arts and Humanities
.Department of Islamic Studies Jinan University / Tripoli, Lebanon
fathi.bikai@jinan.edu.lb

محاربة الإسلام للتمييز العنصري

التمييز ضد الأعراق أنموذجًا

Islam prohibits racial discrimination
Discrimination against races as a model

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٥/١/٢٣ / تاريخ القبول: ٢٠٢٥/٢/٢

الملخص

يسلط هذا البحث الضوء على جانب مهم من عدالة الإسلام، ألا وهو حق الإنسان في المساواة مع أخيه الإنسان. وفيه تعريف للعنصرية ونبذة عن التفرقة العنصرية على أساس العرق قديمًا في الهند ولدى اليونان والرومان، وحديثًا في أمريكا وجنوب أفريقيا.

ثم يتناول أهم الأدلة من الكتاب والسنة وسيرة الصحابة على تحريم التمييز العنصري العرقي، وكيف عالجته الشريعة الإسلامية، وفيه ردّ على شبهة الرقّ في الإسلام.

وخلص الباحث إلى أن الإسلام يدعو إلى المساواة بين بني آدم جميعًا، ويحرّم كل أنواع التمييز العنصري العرقي.

كلمات مفتاحية: عنصرية تمييز عرقي تعصب مساواة حقوق الإنسان.

Abstract

This research highlights an important aspect of justice in Islam: the human right to equality with one's fellow human beings.

It provides a definition of racism and an overview of racial discrimination

based on ethnicity in ancient times in: India, Greece, and Rome, as well as in modern times in the United States and South Africa.

The study examines key evidence from the Qur›an, the Sunnah, and the lives of the Prophet's companions that demonstrate the prohibition of racial and ethnic discrimination. It also explores how Islamic law addresses this issue and responds to the misconception of slavery in Islam.

The researcher concludes that Islam calls for equality among all human beings and forbids all forms of racial and ethnic discrimination.

Keywords: Racism Racial discrimination Prejudice Equality Human rights.

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق وحبيب الحق، سيدنا محمد الذي وصفه ربّه بالرأفة والرحمة، قال الله عزّ وجلّ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]

أما بعد...

يُحيي العالم في الحادي والعشرين من شهر آذار من كل عام اليوم العالمي لمناهضة التمييز العنصري ضد الأعراق، ففي مثل هذا اليوم من العام ١٩٦٠م أقدمت الشرطة في بلدية شاربفيل (Sharpeville) وهي بلدة إلى الجنوب من مدينة جوهانسبورغ بجنوب إفريقيا على ارتكاب مذبحة بحق سكانها لأنَّهم خرجوا بمظاهرات للاحتجاج على القرار الذي أصدرته السلطات العنصرية بإجبار المواطنين السود على حمل جوازات مرور من أجل التنقل داخل البلاد[1]، وما ذاك إلا لأنهم ذوو بشرة سوداء.

أهمية البحث: تنبع أهمية البحث من كون مسألة التمييز على أساس العرق دمرت جانبًا من تاريخ البشرية بما وقع من ظلم على بعض الأعراق وخصوصًا أصحاب البشرة السوداء. ورغم تقدم البشرية في سلم الحضارة وصولاً إلى القرن الحادي والعشرين لا تزال الفروق العرقية تلقي بظلالها على كثير من نواحي حياتنا، وتبرز كعقبة في وجه بعض الناس دون ذنب منهم.

سبب اختيار البحث: سبب الاختيار هو ادعاء الغرب أنه حامي حقوق الإنسان والمنافح عن حقوق الضعفاء وهو ادعاء يدحضه الواقع المعيش قديمًا وحديثًا.

أهداف البحث: إبراز ما أفاض الإسلام على البشرية من حفظ لحقوقهم كبشر، ورعاية

(١) ينظر: https://www.bbc.com/arabic/ ٢١/٣/٢٠١٩/https://www.aljazeera.net/blogs worldnews/٢٠١٠/٠٣/١٠٠٣١٥___als_sharpeville_massacre_tc2. تاريخ الاطلاع ١٣ كانون الثاني ٢٠٢٥م.

لمكانتهم دون تمييز.

إشكالية البحث: تبرز الإشكالية بالسؤال التالي: هل حرّم الإسلام التمييز العنصري العرقي؟.

وعليه يتفرع الأسئلة التالية:

ما العنصرية، وما التمييز العنصري ضد العرق ؟

هل عرف الإنسان العنصرية العرقية قديمًا؟

ما الأدلة على اعتبار أن الناس سواسية في الإسلام لا فرق بين عرق وآخر؟

خطة البحث: اقتضت طبيعة البحث أن يقسم إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين كالتالي:

المقدمة

التمهيد

المبحث الأول: تعريف التمييز العنصري وتاريخه

المطلب الأول: تعريف التمييز العنصري

المطلب الثاني: نماذج من التمييز العنصر قديمًا وحديثًا

المبحث الثاني: أدلة تحريم التمييز العنصري من القرآن والسنة

المطلب الأول: من القرآن الكريم

المطلب الثاني: من السنة المطهرة

الخاتمة

المصادر والمراجع

التمهيد

قسّمت العلوم الإنسانية الأجناس البشرية جماعات، تجمع بين كل منها خصائص ومميزات طبيعيــة متوارثــة، وكان الطبيب الأميركــي «صامويل مورتون» أوّل من قال بذلــك[1]. وكان أهم ما اعتمــده مورتون مــن خصائص: لون البشرة وشكل الجمجمة، وملامح الوجه وطول القامة . وقال معتنقــو هذه النظرية: إن هــذه الطبيعة يتبعها اختلاف في المواهب العقليــة والقوى النفسية. ثم ظهرت نظريات رأى أصحابها أن تقسيم البشر إلى أجناس يرجع إلى الدم نفسه، على خلاف فيما بينهــم علــى مقدار نسبة ما يوجد من دم الآباء والأجداد فى الإنسان حتى ينسب إلى هذا الجنس. وكان من نتيجة هذه الأفكار أن قرر الباحثون أن هناك امتيازًا لبعض الأجناس على بعضهم الآخر، ممــا يعطي الحــق للأجناس العالية أن تكون لها قوانين وامتيــازات، على حساب الأجناس الأخرى التي لا ينبغي أن تدخل معها فى هذه القوانين وتلك المعاملات.

ولكــن العلمــاء المنصفــون قــرروا أن ربط التفــوق المدني، والرقــي الحضــاري لا يختصّ بجنســ معين مــن البشر، وإنما يرجع إلــى عوامل منها: البيئــة، والظروف السياسيــة، والأوضاع الاقتصاديــة، والأجواء الثقافية. وقالوا لو وضع شخصان مــن جنسين مختلفين فى بيئة حضارية وثقافية واجتماعية واحدة، ما كان هناك فرق يذكر بينهما فى الفكر والسلوك، والواقع يبين تقدم أفــراد من أصحــاب البشرة السوداء على أفــراد من البيض في الجامعات وفــي النشاط الفكري والاجتماعــي، وذلــك عندما تهيأت لهم الظــروف، ودليل الجواز الحدوث وقد حــدث. ومن هنا لا تكون وراثة الخصائص البيولوجية مانعة من التقدم والحضارة عندما تتوافر الظروف.

إن الاهتمــام بالبحــث فى الأجناس وخصائصهــا ومميزاتها لم يأخذ شــكلاً واضحًا إلا في العصــور المتأخرة ، حيــن غلبت على الأمم القويــة نزعة الاستعمار والاستغــلال للأمم الضعيفة المتخلفــة، وأرادت بــه الدعاية لجنس معيَّن، والتحكم في الشعوب الأخــرى، وكثيرًا ما لجأت هذه الأفكار إلى الدين تستمد منه تأييدًا لها، كالصهيونية وأنهم شعب الله المختار.

لقــد سخر المستعمــرون علماءهم لتبرير نقــاء الجنس الأبيض وإثبــات خصائص للألوان والأجناســ: البيض والســود والصفر والحمر ، وجعلوا أعلاها جميعًا الجنســ الأبيض ، وقد أثبت العلماء المنصفون أن الأجناس لم يعد لها وجود متميز الآن.

المبحث الأول: تعريف التمييز العنصري وتاريخه

المطلب الأول: تعريف التمييز الهنصري

العنصريــة مصدر صناعي من العُنْصُر، لم يستعملها العرب كما نستعملها اليوم، فالعُنْصُر عندهــم بمعنــى الأصل والحســب، جاء في القاموس المحيــط: «العُنْصُرُ وتفتحُ الصــادُ: الأصلُ

(١) ينظر: https://ngalarabiya.com/cover-story/. تاريخ الاطلاع ٣ شباط ٢٠٢٥م.

والحَسَبُ»[1]. وقال ابن سيده: «والعُنْصَرُ: الأَصْلُ:

تَمَهْجَرُوا وأيُّ ما تمَهْجُرِ وهمْ بَنُو العَبْدِ اللَّئيم العُنْصُرِ»[2].

وقال صاحب المصباح المنير: «وَالْعُنْصُرُ الْأَصْلُ وَالنَّسَبُ»[3].

وفي حديث الإسراء: «...فَقَالَ مَا هَذَانِ النَّهَرَانِ يَا جِبْرِيلُ قَالَ هَذَا النِّيلُ وَالْفُرَاتُ عُنْصُرُهُمَا...»[4]. العُنْصَر بضم العين وفتح الصاد : الأصلُ وقد تُضَم الصاد والنون مع الفتح زائدة عند سيبويه لأنه ليسَ عنده فُعْلَل بالفتح . ومنه الحديث « يَرجِعُ كلّ ماء إلى عُنْصَرِه » «[5]. وفي تاج العروس: «العُنْصُرُ، بِفَتْح الصَّاد وضَمّها لُغتان: الأَصْلُ»[6].

وأما الاستعمال الحديث لكلمة (العنصرية) فقد عرّفها المعجم الوسيط بقوله: «(العنصرية) تعصّب المرء أو الجماعة للجنس (محدثة)»[7]. والكلمة لها استعمالات عدة منها: التفرقة العنصرية، والتمييز العنصري، والفصل العنصري.

والإنسان العنصري هو الذي يفضل عنصره على غيره من عناصر البشر ويتعصب له، وهذا الداء ورثه أهله عن إبليس عليه لعنة الله تعالى حيث قال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [ص:٧٦].

وهذا العنصري متعصب، والتعصبية قال في تعريفها ابن منظور: «العصبية: أن يدعو الرجل إلى نصرة عصبته والتألب معهم على من يناوئهم، ظالمين كانوا أو مظلومين. وقد تعصبوا عليهم إذا تجمعوا، فإذا تجمعوا على فريق آخر قيل: تعصبوا. .. العصبية والتعصب: المحاماة والمدافعة. وتعصبنا له ومعه: نصرناه. وعصبة الرجل: قومه الذين يتعصبون له».[8]

ومفهوم العصبية في الشرع بغيض، لأنه انحياز إلى قوم الإنسان ومعاونتهم في الباطل، فعن

---

(١) الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب أبو طاهر مجد الدين (ت: ٨١٧هـ). القاموس المحيط. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت. الطبعة الثامنة، ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م. ص٥٦٧.

(٢) ابن سيده، علي بن إسماعيل أبو الحسن (ت: ٤٥٨هـ). المحكم والمحيط الأعظم . تحقيق: عبد الحميد هنداوي. دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ ٢٠٠٠ م. ج٢، ص٤٤٣.

(٣) الفيومي، أحمد بن محمد بن علي أبو العباس (ت: نحو ٧٧٠هـ) . المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. المكتبة العلمية – بيروت. د.ط. د. ت. ج٢، ص٤١٣.

(٤) البخاري، الصحيح. محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي(ت: ٢٥٦ه).الصحيح. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر . دار طوق النجاة-القاهرة. الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ. كتاب: التوحيد، برقم (٧٥١٧). ج١٨، ص٥٥٩.

(٥) الجزري ، المبارك بن محمد أبو السعادات. النهاية في غريب الحديث والأثر. تحقيق : طاهر أحمد الزاوي محمود محمد الطناحي. المكتبة العلمية بيروت ، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م. ج٣، ص٥٨٧.

(٦) الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق أبو الفيض (ت: ١٢٠٥هـ). تاج العروس من جواهر القاموس. دار الهداية. ج١٣، ص١٥٣.

(٧) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية بالقاهرة. د.ط. د. ت. ج٢، ص٦٣١.

(٨) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين (ت: ٧١١هـ). لسان العرب. دار صادر بيروت. الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ. ج١، ص٦٠٦.

واثلـة بن الأسقع أنه قَـالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه، الرَّجُلُ يُحِبُّ قَوْمَـهُ، أَعَصبِيٌّ هُوَ؟ قَالَ: لا، قُلْتُ: مَنَ الْعَصَبِيُّ؟ قَالَ: «الَّذِي يُعِينُ قَوْمَهُ عَلَى الظُّلْمِ»[1]. ومفهوم التعصب بالمفهوم الحالي للكلمة يرادف الغلو، والتطرف.

وبالعـودة إلـى العنصريـة فهي الاعتقـاد بـأن مجموعة معينـة أرفع مستوى مـن مجموعة أخـرى، والذي مـن شأنه أن يجعل التمييز بيـن الناس على أساس عنصرهـم أو أصلهم أو لونهم أو جهتهـم ومعاملتهـم على ذلك الأساس. جاء فـي «الاتفاقية الدولية للقضاء علـى جميع أشكال التمييـز العنصري» للأمم المتحدة التعريف التالي للتمييـز العنصري: (يقصد بتعبير "التمييز العنصـري: أي تمييـز أو استثناء أو تقييد أو تفضيل يقوم على أساس العـرق أو اللون أو النسب أو الأصل القومي أو الإثني ويستهدف أو يستتبع تعطيل أو عرقلة الاعتراف بحقوق الإنسان والحريات الأساسيـة أو التمتع بها أو ممارستها، على قدم المسـاواة، في الميدان السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعـي أو الثقافـي أو في أي ميدان آخر من ميادين الحيـاة العامة)[2]. والتمييز على أساس العرق هو أحد وجوه العنصرية، التي عرفتها البشرية منذ عقود سحيقة.

ونستخلص لها التعريف التالي: (المفاضلة غير العادلة على أساس العرق بين البشر).

المطلب الثاني: نماذج من التمييز العنصر قديمًا وحديثًا

إن فكـرة التعالي والظلم والتمييز بوجه عام بين بني آدم هي فكرة قديمة، ظهرت لاختلاف النـاس بعضهـم عن بعض في القوة الجسدية والعقلية والمظاهـر المادية، والتي كان من أثر سوء فهمهـا أن استعلى بعض الناس على بعضـ، واستغلّ القوي الضعيف، والغني الفقير وسيطر العالم على الجاهل، وكان من أكبر مظاهرها الرقّ الذي طال عرقًا بعينه.

والتفرقـة العنصرية العرقية قديمة جدًا، ففي الهند مثـلاً نجد طبقات المجتمع الهندوسي -كما وردت في قوانين مانو[3] على النحو التالي:

البراهمة: وهم الذين خلقهم الإله براهما من فمه: منهم المعلم والكاهن، والقاضي، ولهم يلجأ الجميع في حالات الزواج والوفاة، ولا يجوز تقديم القرابين إلا في حضرتهم.

الكاشتر: وهم الذين خلقهم الإله من ذراعيه: يتعلمون ويقدمون القرابين، ويحملون السلاح للدفاع.

الويش: وهم الذين خلقهم الإله من فخذه: يزرعون ويتاجرون ويجمعون المال، وينفقون على

(١) الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب(ت : ٣٦٠هـ). المعجم الكبير. الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب(ت : ٣٦٠هـ). المعجم الكبير. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. مكتبة ابن تيمية – القاهرة. الطبعة الثانية. د. ت ج٢٢، ص٩٨.

(٢) ينظر: https://www.ohchr.org/ar/instruments-mechanisms/instruments/international-convention-elimination-all-forms-racial. تاريخ الاطلاع ٢٨ كانون الأول ٢٠٢٤م.

(٣) تعتبر هذه القوانين أقدم التشريعات في الهند. وتتألف من ٢٦٨٥ بيتًا من الشعر وهي منسوبة إلى شخصية خرافية تصورها النصوص في صورة أنه صغير تلقى الوحي عن براهما نفسه. ويبدو أن هذه القوانين من وضع جماعة البراهمة.

المعاهد الدينية.

الشـودر: وهـم الذيـن خلقهم الإله مـن رجليه، وهم مـع الزنـوج الأصليين يشكلـون طبقة المنبوذيـن، وعملهـم مقصور على خدمـة الطوائف الثـلاث السابقة الشريفـة، ويمتهنون المهن الحقيرة والقذرة[1].

ومـن كان في طبقة من الطبقـات لا يستطيع أن يرتقي للطبقة الأعلى، مهما اكتسب من علم أو مال أو جاه.

وكان اليونانيـون يعتقـدون أنهم شعب مختـار، خُلقوا من عناصر تختلف عـن العناصر التي خُلقـت منها الشعوب الأخرى، والتي كانوا يطلقـون عليها اسم (البربر). وقد قسموا المجتمع إلى ثـلاث طبقات رئيسية متميـزة عن بعضها من النواحـي السياسية والاقتصاديـة والاجتماعية ، و كانت في صورة هرم قاعدته طبقة الأرقاء وفي وسطه طبقة الأجانب وعلى رأسه طبقة المواطنين.

وينسب لأرسطو في كتابه (السياسة) قوله إن الله خلق فصيلتين من الناس، فصيلة زودها بالعقـل والإرادة، وهي فصيلة اليونان، وقد فطرهـا على التقويم الكامل، لتكون خليفته في أرضه، وسيدة على سائر خلقه. وفصيلة لم يزودها إلا بقوى الجسم، وما يتصل اتصالاً مباشراً بالجسم، وهـؤلاء هـم البرابرة، أي مـا عدا اليونان من بنـي آدم، وقد فطرهم على هـذا التقويم الناقص، ليكونـوا عبيـداً مسخرين للفصيلة المختارة السامية. وكانوا يقرّون الـرقّ الذي يقول فيه أرسطو: إن الرقيق آلة ذو روح ، أو متاع تقوم به الحياة، فهم لا يدخلونه فى عداد المخلوقات الإنسانية.

وكان الرومانيون يعتقدون أنهم سادة العالم، وأن غيرهم برابرة خدم لهم، وكانت قوانينهم تقـرّ الرقّ، وتعامل الرقيق على أنه متـاع ، مدّعين أن استعباده رحمة به من القتل الذي تتعرض له الحيوانـات، وإلى جانـب الاسترقاق بالحروب كانوا يسترقون الفقير إذا عجز عن أداء الدين، ولم تكن للرقيق حقوق قانونية ولا مدنية، ولا يستطيع أن يقاضي سيده أو معاملته، بل كان لسيده الحق فى قتله دون مجازاة.

ووصولاً للقرن العشرين الماضي، نجد مظاهر العنصرية ما زالت متغلغلة في نفوس الناس، علـى الرغم من إصدار القرارات ضد التفرقة العنصرية فى المؤتمرات الدولية المتعاقبة كاتفاق عصبة الأمم سنة ١٩٢٦ م ، الذي وقعه ثمان وثلاثون دولة، وعلى الرغم من الإعلان العالمي لحقوق الإنسـان من الأمم المتحدة فى العاشر من كانون الثاني لسنة ١٩٤٨ م، فإن التفرقة العنصرية ما زالت تمارس في بعض الدول الحديثة كأمريكا وجنوب أفريقيا.

أولاً: في أمريكا، حرر الرئيس الأمريكي لنكولن العبيد، وكان جزاؤه أنه قتل على يد متعصب عنصـري سنة ١٨٦٥م. ولم يكن المجتمع الأمريكي مجمعًا على تحرير العبيد، بل كانت النزاعات

(١) ينظر: موسوعة الأديان. https://dorar.net/adyan/. تاريخ الاطلاع ٤ كانون الثاني ٢٠٢٥م.

محتدمة بين الجنوب والشمال، فالجنوب مصرّ على الإبقاء على التفرقة العنصرية لضمان استخدام العبيد في مزارعه، وكان الشمال يصرّ على تحريرهم ليتمكنوا من الهجرة إلى الشمال ويعملوا في مصانعه.

وقد تكرس التمييز العنصري العرقي في أمريكا بقوانين تشريعية عرفت باسم «قوانين جيم كرو» التي فرضت فصلاً عنصريًا بين السود والبيض، منذ بداية عام ١٨٧٠م. وكان مما فرضته قوانين «جيم كرو» وجوب الفصل العنصري بين السود والبيض في الأماكن العامة بما في ذلك وسائل النقل، وعقب هذه التشريعات أجبروا السود على الجلوس في مؤخرة الحافلات، بينما البيض في مقدمتها. كما تم فصل التعليم أيضًا؛ فلا يحق للأطفال الأميركيين الأفارقة ارتياد مدارس البيض ولا جامعاتهم، أو دخول المطاعم التي يرتادونها. وفي الطقوس الدينية كان للزنوج كنائس خاصة، ولا يصح لهم أن يشاركوا البيض في العبادة. وأصبح الزواج بين الأعراق غير قانوني، كما فُرض على السود اجتياز اختبارات محو الأمية قبل أن يحق لهم التصويت، ولم يتم تطبيق هذه القوانين في الجنوب فقط، بل تأثرت بها كذلك ولايات أخرى.

وكانت هذه التشريعات تطبق فى عدة ولايات أمريكية، كما جاء فى تقرير قدّم إلى الأمم المتحدة سنة ١٩٤٧ م . هذا بالإضافة للجمعيات العنصرية التي تأسست في الجنوب كجمعية كلوكلوكس كلان[١] ، لإرهاب الملونين، وانتشرت فى جميع أنحاء الولايات المتحدة .

ثانيًا: في جنوب أفريقيا تفرقة عنصرية صارخة، فقد احتل الهولنديون المسمون (البوير) أي الفلاحين، وأسسوا مدينة رأس الرجاء الصالح سنة ١٧٥٢ م، وجلبوا عمالاً من الملايو والهند للزراعة، وكانوا لا يعترفون لهم بحقوق كحقوقهم. وحسب إحصاء سنة ١٩٥٢م كان فى جنوب أفريقيا: عشرة ملايين أفريقي أسود، وثلاثة ملايين أوربي، ومليونان من الملونين، ونصف مليون من الآسيويين، ومع ذلك يتحكم الأوربيون فى بقية السكان الأصليين ويُقصونهم من مراكز الحكم.

وكانت التفرقة العنصرية بأشد مظاهرها تبدو في أمور منها: تقييد حرية التعاقد على العمل للملونين، وعدم زيارتهم للمدن إلا لمدة اثنتين وسبعين ساعة، ووجوب الحصول على إذن فيما زاد على ذلك، وتحديد عدد المقيمين منهم فى المدن ، ومنع دخول كنائس البيض ، وعدم علاجهم فى المصحّات إلا عند الضرورة القصوى، وتحريم امتلاكهم لعقارات البيض، ومنع التزاوج بين الأوربيين وبينهم...

ورغم قرارات مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة، لم تتجاوب سلطات جنوب

(١) تؤمن جماعة (كو كلوكس كلان) بتفوق العرق البروتستانتي الأبيض على غيره من الأعراق والديانات، وتعارض تحرير السود وحصولهم على الحقوق المدنية كما تطالب بالقضاء على الأقليات الدينية والعرقية في الولايات المتحدة. (https://www.aljazeera.net/encyclopedia/٢٠١٧/٨/١٥/. تاريخ الاطلاع ٢١ كانون الثاني ٢٠١٥)

أفريقيا وتلغي التمييز العنصري ضد السود السكان الأصليين. ففي أول نيسان سنة ١٩٦٠م أصدر مجلس الأمن قرارًا بدعوة جنوب أفريقيا لنبذ سياسة التفرقة العنصرية ،كما أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحده فى ١١ من تشرين الثاني سنة ١٩٦١ م قرارًا بلومها ، ومع ذلك لم تستجب الحكومة لهذا كله وقد دعا إلى إصدار هذه القرارات توالي حوادث العنف [١].

المبحث الثاني: أدلة تحريم التمييز العنصري من القرآن والسنة

نهى الشارع الكريم عن التمييز العنصري على أساس العرق واعتبره من المحرمات، وجعل التفضيل بين الناس أساسه الالتزام الديني والخلقي، ويبرز ذلك بوضوح في التالي:

المطلب الأول: من القرآن الكريم

قرر الإسلام أن الناس من أصل واحد فالأب آدم، والأم حواء قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء : ١]. وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ...﴾ [الأعراف: ١٨٩].

بل وحارب الإسلام التفرقة بين الناس ضمن العرق الواحد ، -فمثلاً بين العرب- بيّن الله عزّ وجلّ أن الحكمة من جعل الناس شعوبًا وقبائل غايته أن يتعارفوا، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣]، وختم الآية بأن أكرم الناس هو أتقاهم لله. قال الفخر الرازي:»فالناس فيما ليس من الدين والتقوى متساوون متقاربون»[٢]. وقال ابن كثير: «أي إنما تتفاضلون عند الله تعالى بالتقوى لا بالأحساب»[٣].

ومع اعتبار التقوى معيارًا للتفاضل، فقد جعل الله تعالى التكريم لكل إنسان ابتداءً، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الاسراء: ٧٠]. والتكريم لكل بني آدم دون استثناء؛ لأن (بني) جمع مضاف والجمع المضاف من ألفاظ العموم، ولم يقل الله تعالى ولقد كرّمنا بعض بني آدم. إن هذا التكريم ليس داعيًا لأحد لاحتقار أحد لأنَّه من عرق آخر، قال القرطبي: «أي جعلنا لهم كرمًا، أي شرفًا وفضلاً»[٤].

---

(١) ينظر: https://www.rabitat-alwaha.net/moltaqa/showthread.php?. تاريخ الاطلاع ٢١ كانون الثاني ٢٠٢٥م.

(٢) الرازي، محمد بن عمر فخر الدين(ت ٦٠٦ه). مفاتيح الغيب . دار الكتب العلمية بيروت. الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠ م. ج٢٨، ص١١٧.

(٣) ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير أبو الفداء (ت: ٧٧٤هـ). تفسير القرآن العظيم. تحقيق: محمد حسين شمس الدين. دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ ج٤، ص٢٦١.

(٤) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر أبو عبد الله (ت: ٦٧١هـ). الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: أحمد البردوني

ولقد قصَّ الله علينا خبر فرعون ووصفه بصفات ذميمة منها أنه كان يضطهد ويستضعف قومًا تحت يده وضمن ملكه، وقد وصف الله تعالى عمله هذا بالإفساد وكفى بها صفة شنيعة، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٤].

ولو استقرأنا القرآن الكريم لوجدنا أنه يتوجه إلى الناس بخطاب واحد دون تفرقة بين أبيض أو أسود، فإن كانت الدعوة للإيمان صُدرت آيات القرآن الكريم بالقول: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ..﴾، أي: يا كل الناس. وإن كانت للقيام بالتكاليف الدينية، صُدرت آيات القرآن الكريم بالقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا...﴾.

فمن الأول قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١] .

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [البقرة: ١٦٨]. وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ ...﴾ [النساء: ١٧٠]، وغيرها كثير.

ومن الثاني، قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٢]. وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ...﴾ [البقرة: ١٧٨]. وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣]، وغيرها كثير.

المطلب الثاني: من السنة المطهرة

من السنة، قال رسول الله ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى، أَبَلَّغْتُ؟ قَالُوا : بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ...»[1].

كان من أبرز أهداف الإسلام ترابط المجتمع، وغرس المودة والمحبة بين أبنائه، حتى يصبح كالجسد الواحد، إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، لقد ولد الإسلام في مجتمع متفرق لا يضمه هدف ولا تجمعه غاية؛ يغير بعضه على بعض، وتترفع قبيلة على الأخرى، فحارب الإسلام هذه العصبية وسوى بين الناس كأسنان المشط[2].

وإبراهيم أطفيش. دار الكتب المصرية – القاهرة. الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ ١٩٦٤ م. ج١٠، ص٢٩٣.

(١) الامام أحمد،. أحمد بن حنبل. المسند. تح : شعيب الأرنؤوط وآخرون. مؤسسة الرسالة-بيروت. الطبعة الثانية ، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م. برقم(٢٣٤٨٩).

(٢) لاشين، الأستاذ الدكتور موسى شاهين . فتح المنعم شرح صحيح مسلم. دار الشروق. الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢ م.

وهـذا الحديـث جاء فـي خطبة الوداع ووسـط حشد كبير مـن الصحابة، بـدأ خطابه عليه الصلاة والسلام بالتوجه لجميع الناس، وفيها دلالة على عالمية الدعوة ووحدة الناس. والخطاب لمـن يسمـع ولمن سيأتي بعدهم ممن بلغه الخطاب. والنداء لجلـب انتباه السامع، و(أَيُّهَا) الهاء فيهـا للتنبيه لأن الأمر عظيم، وهـي تعم من وُجد في زمن التبليغ ومن سيوجد بعدهم. والمقصود مـن قولـه عليه الصلاة والسلام:« يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ» التنبيه على ما سيأتـي من الكلام؛ لأنه من المعـروف لدى الصحابة أن ربهم واحـد وأن أباهم واحد، وإنما أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتدرج من المعلوم إلى المراد من المخاطب على عادة الفصحاء.

ثم قال :« أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ »، و (ألا) للتنبيه لاسترعاء سمع المخاطبين، و(فضل) نكرة في سياق النفي فتعم كل أنواع الفضل.

ومـن الأدلـة أيضًا ما جاء فـي الحديـث: « ... إنَّ اللّهَ أذهب عنكم عبيَّـةَ الجاهليَّةِ وفخرَها بالآباءِ . إنَّما هو مؤمنٌ تقيٌّ ، وفاجرٌ شقيٌّ ، النَّاسُ بنو آدمَ ، وآدمُ خُلِق من ترابٍ »[1].

فقولـه: « النَّاسُ كلُّهم بَنـو آدمَ »، أي: سواءٌ فلا تمييز ولا غض مـن حقوق الأعراق الأخرى؛ وقولـه:« وآدَمُ خُلِـق مِن تُرابٍ»، أي: بيانٌ لقدْرِ المادَّةِ التي خُلِقَ منها الإنسانُ والَّتي لا تُؤسِّسُ للفَخرِ والكِبْرِ، بل للتَّواضعِ.

وعـن أبـي ذر أنه قال إنه كان بينـي وبين رجل من إخواني كلام وكانـت أمّه أعجمية فعيّرته بأمـه فشكانـي إلى النبي ﷺ فلقيت النبي صلى الله عليه وسلـم، فقال: « يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية »...[2] . وفي هذا الحديث توجيه نبوي لحرمة التفرقة بين الناس على أساس العرق.

وفـي صحيح البخـاري كان عمر-رضي الله عنـه- يقول: (أَبُو بَكْـرٍ سَيِّدُنَا وَأَعْتَـقَ سَيِّدَنَا) ، يَعْنِـي بِلَالا[3]. فانظر إلى وصف العربي الهاشمـي الأبيض لبلال الحبشي الأسود بأنه سيده، ترى المسـاواة حيـة تتمثل أمامك بأبهـى صورها وأزكى معانيها. بل وجعل النبـي صلى الله عليه وسلم بلالاً مؤذنه، وكان قد طلبها عمر رضي الله عنه.

ثالثًا: التدريب العملي للمسلمين على نبذ التمييز وذلك في أداء العبادات: كوقوفهم متساويين فى الصلاة بين يدي الله جنبًا إلى جنب دون تمييز طبقي. المناكب متلاصقة، والأقدام متحاذية، الغنـي بجوار الفقيـر، والعظيم بجوار الوضيع، الكل يتحرك حركة واحـدة، ويسكن سكونًا واحدًا،

ج٣، ص٣٧١.

(١) الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى(ت: ٢٧٩ه). السنن. دار إحياء التراث العربي- بيروت. تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون. كتاب: المناقب، باب: في فضل الشام واليمن. برقم(٣٩٥٥). ج٥، ص٧٣٤. قال الترمذي : وهذا حديث حسن غريب.

(٢) مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم(ت: ٢٦١ه). الصحيح. دار الجيل-بيروت . كتاب: الأيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل. برقم(٤٤٠٣). ج٥، ص٩٢.

(٣) البخاري، الصحيح. كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب بلال بن رباح . برقم(٣٥٤٤). ج٩، ص٣٠٥.

فإذا ما قضيت الصلاة التقوا، وتعارفوا، ودرسوا مصالحهم وعرفوا غائبهم[1].

وكقضائهم لشعائر الحج بثوب أبيض موحد، مجردين عن كل مظهر من مظاهر التفرقة، التي كان الناس على أساسها يفرّقون بين قبيلة وقبيلة، وحيث كان في الجاهلية لكل قبيلة لباس يتفاخرون به. وكوقوفهم جميعًا بعرفة بعد أن كان بعضهم في الجاهلية يقف في المشعر الحرام، وذلك لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٩٩]. فعن عائشة رضي الله عنها كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة وكانوا يسمون الْحُمْسَ [2]، وكان سائر العرب يقفون بعرفات فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأتي عرفات ثم يقف بها ثم يفيض منها فذلك قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة :١٩٩][3].

رابعًا: عدم التفرقة على أساس العرق في الزواج، فقد تزوج المقداد بن الأسود ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب الهاشمية، قال الذهبي عن المقداد:» صاحب رسول الله ﷺ وأحد السابقين الأولين وهو المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة القضاعي الكندي البهراني .ويقال له : المقداد بن الأسود ; لأنه ربي في حجر الأسود بن عبد يغوث الزهري فتبناه ، وقيل : بل كان عبدًا له أسود اللون فتبنّاه «[4]. وقال الذهبي عن ضباعة: «بنت عمٍّ رسول الله ﷺ الزبير بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمية، من المهاجرات. وكانت تحت المقداد بن الأسود، فولدت له: عبد الله، وكريمة»[5].

وتزوج بلال الحبشي من أخت عبد الرحمن ابن عوف القرشية. قال القرطبي: «قلت : وأخت عبد الرحمن بن عوف كانت تحت بلال»[6].

وإنكاحه ﷺ أسامة بن زيد فاطمة بنت قيس، وكانت بيضاء قرشية وأسامة أسود، فعن فاطمة بنت قيس أن أبا عمرو بن حفص طلقها البتة وهو غائب فأرسل إليها وكيله بشعير فتسخطته. فقال: والله ما لك علينا من شيء. فجاءت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فقال لها: « ليس لك عليه نفقة ». وأمرها أن تعتد في بيت أم شريك ثم قال: «إن تلك امرأة يغشاها أصحابي اعتدي في

(١) لاشين ، الأستاذ الدكتور موسى شاهين . المنهل الحديث في شرح الحديث. دار المدار الإسلامي. الطبعة الأولى، ٢٠٠٢ م. ج١، ص١١٥.

(٢) الأحمس: الشديد الصلب في الدين والقتال، وإنما سميت قريش وكنانة حُمساً لتشددهم في دينهم؛ لأنهم كانوا لا يستظلون أيام منى، ولا يدخلون البيوت من أبوابها.

(٣) البخاري، الصحيح. كتاب: العلم، باب: ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس. برقم(٤٥٢٠). ج١١، ص٥٦.

(٤) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان أبو عبد الله شمس الدين (ت: ٧٤٨هـ). سير أعلام النبلاء . دار الحديث- القاهرة. الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م ج٣، ص٢٣٥ .

(٥) المصدر نفسه. ج٣، ص٢٤٦.

(٦) القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. ج١٦، ص٣٤٧.

بيت ابن أم مكتوم فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك وإذا حللت فآذنيني ». قالت: فلما حللت ذكرت له أن معاويــة بن أبى سفيان وأبا جهم خطباني فقــال رسول الله ﷺ: «أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه وأما معاوية فصعلوك لا مال له انكحي أسامة بن زيد ». قالت: فكرهته، ثم قال: « انكحي أسامة بن زيد» فنكحته فجعل الله تعالى فيه خيرًا كثيرًا واغتبطت به[1].

خامسًــا: تولية المناصب لغير العرق الأبيض: وأهم دليل والعمدة في هذا قوله عليه الصلاة والسلام:«اسْمَعُــوا وَأَطِيعُــوا وَإِنْ اسْتُعْمِــلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَــهُ زَبِيبَةٌ »[2] . والحبشي بياء النسبة منسوب إلى الحبشة، وهم جيل مشهور من السودان[3].

وكان آخــر جيش جهزه الرسول صلى الله عليه وسلم لغزو الروم سنة ١١هـ بقيادة أسامة بن زيد، وفيه كبار الصحابة

كأبــي بكر وعمــر، ولكن توفي النبي قبل أن يتحرك الجيش. فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهمــا قال: بعث النبــي ﷺ بعثًا وأمّر عليهم أسامة بن زيد، فطعن بعض الناس في إمارته، فقال النبــي صلى الله عليه وسلم:« إن تطعنوا في إمارتــه فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل وأيم الله إن كان لخليقًا للإمارة، وإن كان لمن أحبّ الناس إليّ وإنّ هذا لمن أحبّ الناس إليّ بعده »[4].

وانظر في كتب الحديث تجد أبوابًا لمناقب الصحابة دون تمييز بينهم.

شبهة وردّ عليها: نظرة الإسلام إلى الرقّ

ولقائل أن يقول: طالما لا تفرقة في الإسلام بين الأعراق فلماذا لم يحرّم الرق؟. والمنصف يعــرف موقف الإسلام جليًا في محاربته للتفرقة العنصريــة العرقية وفي تشريعه الحكيم لإبطال الرقّ ويتمثل في ثلاثة إجراءات رئيسة وهي:

أولهــا: تضييق باب الــرقّ الذي كان متسعًا جدًا قبل الإسلام، من حرب وخطف وشراء وغير ذلــك، وحصــره في مورد واحد وهو الأسر في الحروب المشروعــة إذا رأى الإمام أن يضرب الرقّ علــى الأسرى. والأسر مبدأ معمول به قديمًا وحديثًا، ولم يكن الشراء في الإسلام طريقًا لامتلاك الرقيق ابتداءً.

ثانيها: الأمر بالإحسان إلى الرقيق حتى تحين الفرصة لعتقه، والوصايا فى ذلك كثيرة منها مراعــاة شعــوره، قال الرســول ﷺ «لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ عَبْــدِي وَأَمَتِي، كُلُّكُمْ عَبِيــدُ اللَّهِ وَكُلُّ نِسَائِكُمْ

(١) أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني. السنن. دار الفكر-بيروت. تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد. كتاب: الطلاق، باب: في نفقة المبتوتة . ج١، ص٦٩٥.

(٢) البخاري، الصحيح. كتاب: الأحكام، باب: السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية. برقم(٦٧٢٣). ج٦، ص٣٦١٢.

(٣) ينظر: العيني، محمود بن أحمد بن موسى أبو محمد بدر الدين (ت: ٨٥٥هـ). عمدة القاري شرح صحيح البخاري. دار إحياء التراث العربي – بيروت. د. ط. د. ت.ج٣٥، ص٢٠٩.

(٤) البخاري، الصحيح. كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب زيد بن حارثة مولى النبي ﷺ، برقم(٣٥٢٤).ج٣، ص١٣٦٥.

إِمَـاءُ اللّه وَلَكِـنْ لِيَقُلْ غُلاَمِـي وَجَارِيَتِي وَفَتَـايَ وَفَتَاتِي»[1] . وإكرامه في مطعمـه وملبسه كما في الحديث: «... هُمْ إِخْوَانُكُمْ جَعَلَهُمُ اللّه تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ وَأَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»[2] .

وقـد هـال النبي ﷺ أن يـرى عبدًا يضرب، فعن أبـي مسعود الأنصاري قـال: كنت أضرب غلامًـا لي فسمعت من خلفي صوتًا: «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُـود للّه أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْه». فالتفت فإذا هو رسـول الله ﷺ، فقلـت: يا رسـول الله هو حرّ لوجه الله. فقـال: «أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَـلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ أَوْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ»[3].

وقـال عمـر كلمتـه الخالدة المشهـورة : (مذ كـم تعبّدتـم الناس ، وقـد ولدتهـم أمّهاتهم أحرارا؟)[4] .

ثالثهـا: فتح الأبواب الواسعـة لتحرير الرقيق، وإيجاد منافذ كثيـرة للانطلاق من الرقّ إلى الحريـة، فحثّت النصوص على العتق، ولتصفية طبقة الرقيق تدريجيًـا، سنَّ الشارع الكريم عدة أحكام فيها التقليل من الرق، منها:

أولاً: تخصيص سهم من حصيلة الزكاة ينفق في تحرير العبيد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠]، قال الشافعي، والليث: إن المراد بالرقاب: المكاتبون.

ثانيًا: إلـزام الأفراد بتخصيص جـزء مـن أموالهم ينفق فـي تحرير الـرقاب، قـال تـعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ ... ﴾ [البقـرة، ١٧٧]، ولقد بيّن الرازي في تفسيره لهذه الآية أن المراد بالإيتاء غير الـزكاة المكتوبة، وأنه من الواجبات وليس من التطـوع، فقد ذهب جماعة منهم الشعبي والحسن وعطاء وطاووس ومسروق وغيرهم...أن في المال حقوقاً سوى الزكاة[5]. ونجد أن الإسلام يوجه فائض الأموال لدى الأغنياء إلى تحرير الأرقاء بعد أن كانت توجه لاستعبادهم.

---

(١) مسلم، الصحيح. كتاب: الألفاظ من الأدب، باب: حكم إطلاق لفظة العبد والأمة والمولى والسيد . برقم(٦٠١١). ج٧، ص٤٦.

(٢) مسلم، الصحيح. كتاب: الأيمان، باب: إطعام المملوك مما يأكل وإلباسه ...، برقم(٤٤٠٣).ج٥، ص٩٥.

(٣) مسلم، الصحيح. كتاب: الأيمان، باب: صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده. برقم(٤٣٩٨). ج٥، ص٩٢.

(٤) المصري، عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم أبو القاسم (ت: ٢٥٧هـ). فتوح مصر والمغرب. مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة. د.ط. ١٤١٥ هـ. ص١٩٥.

(٥) القاضي عياض، عياض بن موسى بن عياض أبو الفضل (ت: ٥٤٤هـ). إكمَالُ المُعْلِم بفَوَائِدِ مُسْلِم. تح: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل. دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع- مصر. الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ مَ. ج٣، ص٤٩٨.

ثالثًا: المكاتبة، فبعد أن أعاد الإسلام البناء النفسي والشخصي للرقيق وأثبت لهم تكافؤ القيمة الاجتماعية مع الأحرار نراه يأخذ بيدهم صاعداً في مدارج الحرية فيمنحهم حق طلب المكاتبة، والمكاتبة هي عقد بين المملوك وسيده، يتعهد فيه الأول بدفع تعويض مالي مقسطًا لقاء حريته، قال تعالى: ﴿...وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ...﴾ [النور: ٣٣].

رابعًا: العتق الطوعي، وهو أن يتطوع المالك مختاراً، ودون مقابل يلتزم به المملوك، فيعلن تخليه عن ملكية الرقيق ويردّ إليه حريته تقرباً إلى الله وطمعاً في مرضاته، قال تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾﴾ [البلد: ١١، ١٢، ١٣]، وقال النبي ﷺ: «أَيُّمَا رَجُلٍ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا اسْتَنْقَذَ اللهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّار»[1]، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أول من باشر بعتق الرقيق.

خامسًا: العتق الإلزامي أو عتق التكفير، فقد جعل الإسلام العتق كفارة لكثير من الممارسات المحظورة، فمن ذلك:

أ. كفارة القتل الخطأ، قال تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ﴾ [النساء، ٩٢].

ب. كفارة الظهار، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ﴾ [المجادلة: ٣].

ت. كفارة الحنث باليمين، قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ﴾ [المائدة: ٨٩].

ث. كفارة من جامع في نهار رمضان، فيكفر بعتق رقبة أولاً، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال أتى النبي ﷺ رجل فقال: هلكت، قال:« وَلِمَ» ، قال: وقعت على أهلي في رمضان، قال :« فَأَعْتِقْ رَقَبَةً ...»[2].

ج. كفارة النذر لقوله ﷺ: «كفارة النذر كفارة اليمين»[3].

---

(١) البخاري، الصحيح. كتاب: العتق، باب: ما جاء في العتق وفضله برقم(٢٣٨١). ج ٢، ص٨٩١.

(٢) البخاري، الصحيح. كتاب: العلم ، باب: نفقة المعسر على أهله. برقم(٥٣٦٨). ج١٣، ص٤١٤.

(٣) مسلم، الصحيح. كتاب: الأيمان، باب صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده. برقم(٤٣٨٨). ج٥، ص٩٠.

ح. كفـارة لطـم العبد، قال ﷺ: « مَنْ لَطَمَ مَمْلُوكَهُ أَوْ ضَرَبَهُ فَكَفَّارَتُهُ أَنْ يُعْتِقَهُ »[1]، بل العتق كفارة شتم المملوك، فقد أورد الإمام الغزالي قولاً للإمام الزهري يعكس هذا الفهم قال: «متى قلت للمملوك أخزاك الله فهو حر»!!.

ويلاحـظ من كل ما تقدم أن الإسلام يحضّ على تحرير الرقيق ويلتمس الأسباب لذلك، وقـد كان هـذا التوجه واضحاً في نهجهِ ﷺ، وواضحاً تمام الوضوح في فهم أصحابه ومقرراتهم، وواضحاً أيضاً في تصور جموع المسلمين وعلمائهم.

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه أجمعين.

في ختام هذا البحث، نستخلص النتائج التالية:

أثبت العلم المنصف أن فكرة التفوق لعرق ما ، هي أسطورة لا حقيقة لها.

عرفـت البشريـة التمييـز العنصري العرقـي البغيض قديمًـا، كما في الهند وعنـد اليونان والرومان.

أنار الإسلام عصورًا كانت مظلمة؛ يستعبد الناس بعضهم بعضًا، فحرّم التمييز ضد الأعراق وذلك في عدة آيات قرآنية، وقد بيّن الإسلام بوضوح أن الله تعالى خلقنا من تراب فالأصل واحد. ومن نفس واحد وخلق منها زوجها، فالأب آدم والأم حواء.

درّب الإسـلام المسلمين على المسـاواة في أمور كثيرة منها:الصـلاة ، والحج وغيرها من العبادات.

أكدّ الرسول ﷺ على أن أصل الناس واحد، ولا فضل لأبيض على أسود إلا بالتقوى.

تجلـت المسـاواة بين الناس في زمن الصحابة بعدة وجوه منهـا: التزواج، وتقليد المناصب لأصحاب البشرة السوداء، ورفع رتبهم عاليًا كبلال الحبشي.

لم يحرم الإسلام الرقّ، وذلك لظروف الحروب والصراعات الدائرة دائمًا. ولكنه حثّ على إعتاق الرقيق ووضع خطوات عملية لعتقهم، مع التوصية والرفق بهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله

(١) مسلم، الصحيح. كتاب: النذور، باب: في كفارة النذر. برقم(٤٣٤٢). ج٥، ص٨٠.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية بالقاهرة. د.ط. د. ت.

الإمام أحمد، أحمد بن حنبل. المسند. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون. مؤسسة الرسالة- بيروت. الطبعة الثانية ، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي(ت: ٢٥٦ه) .الصحيح. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر

دار طوق النجاة-القاهرة. الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى(ت:) . السنن. دار إحياء التراث العربي- بيروت. تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون.

أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني. السنن. دار الفكر-بيروت. تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد.

الجزري ، المبارك بن محمد أبو السعادات. النهاية في غريب الحديث والأثر. تحقيق : طاهر أحمد الزاوي محمود محمد الطناحي. المكتبة العلمية بيروت ، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

ابن سيده، علي بن إسماعيل أبو الحسن (ت: ٤٥٨هـ) . المحكم والمحيط الأعظم . تحقيق: عبد الحميد هنداوي. دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ ٢٠٠٠ م.

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان أبو عبد الله شمس الدين (ت: ٧٤٨هـ) . سير أعلام النبلاء . دار الحديث- القاهرة. الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

الرازي، محمد بن عمر فخر الدين(ت ٦٠٦ه) . مفاتيح الغيب . دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى. ١٤٢١هـ ٢٠٠٠ م.

الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق أبو الفيض(ت: ١٢٠٥هـ) . تاج العروس من جواهر القاموس. دار الهداية. د.ط. د. ت.

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب(ت : ٣٦٠هـ) . المعجم الكبير. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي

مكتبة ابن تيمية القاهرة. الطبعة الثانية. د. ت.

العيني، محمود بن أحمد بن موسى أبو محمد بدر الدين (ت: ٨٥٥هـ) . عمدة القاري شرح صحيح البخاري. دار إحياء التراث العربي - بيروت. د. ط. د. ت.

الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب أبو طاهر مجد الدين (ت: ٨١٧هـ) . القاموس المحيط. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت. الطبعة الثامنة، ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير أبو الفداء (ت: ٧٧٤هـ). تفسير القرآن العظيم. تحقيق: محمد حسين شمس الدين. دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ.

لاشين، الأستاذ الدكتور موسى شاهين:

فتح المنعم شرح صحيح مسلم. دار الشروق. الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢ م.

المنهل الحديث في شرح الحديث. دار المدار الإسلامي. الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر أبو عبد الله (ت: ٦٧١هـ). الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. دار الكتب المصرية القاهرة. الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ ١٩٦٤ م .

الفيومي، أحمد بن محمد بن علي أبو العباس (ت: نحو ٧٧٠هـ) . المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. المكتبة العلمية بيروت. د.ط. د. ت.

مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم(ت: ٢٦١هـ). الصحيح. دار الجيل-بيروت. د.ط. د.ت.

المصري، عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم أبو القاسم (ت: ٢٥٧هـ). فتوح مصر والمغرب. مكتبة الثقافة الدينية-القاهرة. د.ط. ١٤١٥ هـ.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين (ت: ٧١١هـ). لسان العرب. دار صادر بيروت. الطبعة الثالثة ،١٤١٤ هـ.

الروابط للشبكة العنكبوتية

موسوعة الأديان. https://dorar.net/adyan/.

https://www.bbc.com/arabic/worldnews/2010100315/03/_als_sharpeville_massacre_tc2.

https://www.ohchr.org/ar/instruments-mechanisms/instruments/international-convention-elimination-all-forms-racial

https://www.aljazeera.net/blogs

https://ngalarabiya.com/cover-story